AL-ʻULŪM ISSN: 2709-3484 (Print) | 2709-3492 (Online)
https://alulum.net/ojs/index.php/aujis/about
(July-December 2024), 5:2(25-41)

المؤاخاة المكيَّة والمدنيَّة وتطبيقاتها العصرية دراسة شرعية اجتماعية

رنا أبوزكي

أستاذة مساعدة في قسم الدراسات الإسلامية، الجامعة العالمية، لبنان

The Macan and Medinan Brotherhood and its Contemporary Applications: A Jurisprudential and social study

Rana Abou Ziki (Ph.D)[1]

Assistant Professor in the Department of Islamic Studies, Global University, Lebanon

Keywords:

Sirah, hostility, tribal fanaticism, aid, support, brotherhood

Abstract: It is intriguing and thought-provoking how the leader of the nation, our Master Muhammad (peace be upon him), was able to transform the Arabs who believed in him. One of the most prominent factors that contributed to uniting Muslims, consolidating their ranks, and removing this hostility among them was the Prophet's establishment of brotherhood between the Muhājirīn (Emigrants) and the Anṣār (Helpers). The research problem aims to answer the question that how did the Makkan and Madinan societies get affected by this brotherhood with benefit from the treasures of our ancient heritage to address the miseries of our present time? This research highlights the profound impact of this brotherhood in eliminating tribal fanaticism (asabiyya) and how the Prophet (peace be upon him) established manifestations of solidarity, cooperation, and cohesion among Muslims in a single society, regardless of their different origins and customs and how the noble Sharia encouraged the meaning of brotherhood for the sake of Allah and firmly established it among the believers, making this bond a strong means to unite Muslims and unify their word, and making religious brotherhood stronger than kinship ties. The method followed in the research is historical retrieval by presenting the events of brotherhood among Muslims with an indication of the time and place, and the deductive along with the analytical explanatory method by mentioning the hadiths and verses that encouraged brotherhood and the unity of Muslims and explaining them.

How to Cite

Ziki, R. A. المؤاخاة المكيَّة والمدنيَّة وتطبيقاتها العصرية دراسة شرعية اجتماعية: The Macan and Medinan Brotherhood and its Contemporary Applications: A Jurisprudential and social study. *Al-ʻUlūm Journal of Islamic Studies*. Retrieved from https://alulum.net/ojs/index.php/aujis/article/view/165

1. Corresponding author Email: ranajaber.74@gmail.com

المدخل

الحمد لله وكفى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّه المصطفى، وعلى آله وصحابته النُّجبا، ومن سار على هديهم وبهم اقتدى.

إنَّ ممَّا يثير الاهتمامَ والتساؤلَ كيف استطاع قائدُ الأمَّة سيدُنا محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم أن ينقلَ العربَ الذي آمنوا به واتَّبعوا شريعتَه من جاهليةٍ كثُر فيها البغضاءُ والشحناءُ والتقاتلُ والثأرُ إلى مجتمع يتمتَّعُ بالرُّقيِّ والتحابِّ في الله والتناصُحِ والعَونِ ومساندةِ بعضِهم لبعض، وإنَّ من أبرز ما ساهم في جمع المسلمين على كلمةٍ واحدةٍ ووحَّد صفوفَهم وأزالَ هذا التَّشاحُنَ بينَهم ما فعله النبيُّ الكريمُ صلَّى الله عليه وسلَّم من المؤاخاة بين المُهاجرين والأنصار، وقد ظهر جليًّا ثمرةُ هذا التآخي بأن أيَّدَ اللهُ تعالى المسلمين بالنُّصرة، فعادوا بعد سنواتٍ قليلةٍ إلى مكَّةَ فاتحينَ لها كما وَعدَ اللهُ تعالى في قولِه تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[1]، ووعدُ الله حقٌّ والله لا يُخلِفُ الميعاد.

إنَّ هذا البحثَ يهدِفُ إلى تسليط الضَّوءِ على كيفيَّةِ المؤاخاةِ التي حصلَت بينَ المسلمينَ في مكَّةَ أوَّلًا ثمَّ في المدينةِ بعدَ الهجرة النبويَّة، وكيفَ كانَ لهذه المؤاخاةِ التأثيرُ البليغُ في القضاءِ على هذه العصبيَّةِ القَبَليَّة، وكيف أسَّسَ الرسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم معنى التكافُلِ والتضامُنِ والتماسُكِ بينَ المسلمين في المُجتمعِ الواحدِ مهما اختلفَت أصولُهم وعاداتُهم، حتى أدَّى ذلك إلى نُصرةِ المسلمين فيما بعد، وكيف حثَّ الشرعُ الحنيفُ على معنى الأُخوَّةِ ورسَّخَ ذلك بينَ المؤمنين، وجعلَ ذلكَ رابطًا قويًا لتوحيدِ المسلمين واتِّفاقِ كلمتِهم، فصارت الأخوَّةُ في الدِّين أقوى من أخوَّة النسب. كما يهدفُ هذا البحثُ إلى بيانِ أهميَّةِ الأُخوَّة في الله، وحاجتِنا البالغةِ اليومَ إلى إعادةِ ترسيخِ هذا المعنى في نفوسِ المؤمنينَ، وكيفيةِ تَطبيقِ ذلكَ في عَصرِنا مع التطوُّرِ الحاصِلِ في وسائلِ الإعلامِ والتَّواصُلِ، وذلك من خلالِ إرشاداتِ وتعليماتِ قائدِنا الأعظمِ صلَّى الله عليه وسلَّم.

تنحصر إشكاليةُ البحث في بيان معاني الإخوَّة في الدين، وماذا يتضمنُ هذا الوصفُ مِن أحكامٍ تتعلَّقُ بمعاملةِ المُسلمينَ فيما بينَهم، وكيفَ جمعَ هذا الوصفُ بينَ جميع المسلمين مهما بعُدَت المسافةُ بينهم أو اختلفت عاداتُهم وأصولُهم، ثمَّ بيانُ معنى المؤاخاةِ التي أسَّسها الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في مكَّةَ أوَّلًا ثمَّ في المدينة بين المُهاجِرين والأنصار، وماذا كانت ثمرةُ هذه المؤاخاةِ على المسلمين بعدَها، وكيفَ انعكست على مجتمَعِهم، وكيف أدَّت بعد ذلك إلى نُصرتهم وفتح مكَّة وغيرِها حتى انتشَرَ الإسلامُ مِن الشَّرقِ إلى الغربِ في عهدِ الصَّحابةِ والتَّابعين وأتباعِ التَّابعين، وأخيرًا كيف نستفيدُ من هذا المعنى لتطبيقِه في عصرِنا اليومَ الذي كثُرَت فيه الآلامُ وألَمَّت بالمسلمينَ

[1]- القرآن، 48: 27.

المَصائبُ مِن كُلِّ جَنبٍ، لنَخرُجَ من هذه المرحلةِ بإذن الله تعالى مَجبورِينَ صَابِرينَ صَامِدينَ مُنتصرينَ على أعداءِ الدِّينِ الذينَ يتربَّصون لتشتيتِ شَملِ المُسلِمينَ وتَفريقِهم وتَجويعِهم وكَسرِ شَوكَتِهم.

تكمنُ أهميَّةُ البحثِ في عَرضِ الأَحداثِ التي وَقَعَت بالمسلمين قبلَ المؤاخاة، وكيف أدَّت هذه الأحداثُ إلى أن آخى الرسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم بينَ الصحابة، وكيف كانت كيفيَّةُ هذه المؤاخاة، وما الأحكامُ الشَّرعيَّةُ التي ترتَّبت علَيها، وكيفَ استطاعَ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم أن ينهَضَ بالمسلمينَ بعدَما أُخرِجُوا من دِيارِهم وتركُوا أموالَهم وأراضيهم حتَّى عادوا أقوياءَ أعِزَّاءَ مُنتصرينَ على المشركين. كما أنَّ أهميَّةَ البحث تظهر جليًّا في مقارنةِ حالِ المُسلمين اليومَ بحالِهم قبلَ المُؤاخاة لبيانِ العناصرِ المشتَرَكَة بينَ الحالَين في الماضي والحاضر، وكيف بالمؤاخاةِ نهضَ المسلمون بأنفُسِهم من غيرِ استعانةٍ بأحدٍ واستطاعوا بتضامُنِهم واتِّحادهم ومساندتِهم لبعضٍ أن يتخطَّوا هذه المرحلةَ الصعبةَ، بل ولِيَنتَصِروا بعدَ ذلكَ بزَمنٍ قليل على صَناديدِ الكُفرِ، ويدخُلوا مكَّةَ آمنينَ فاتِحينَ لها ويُظهِروا فيها شعائرَ الإسلامِ بحريّةٍ ويفعلوا المناسِكَ من غير أن يتعرَّضَ لهم أحدٌ من المشركين، وكيفَ نَستطيعُ اليومَ أن ننهَضَ بأنفُسِنا لرَفعِ البَلاءِ والظُّلمِ وتخطِّي المَصائبَ، وذلكَ بالاستِفادةِ مِن معاني المؤاخاةِ والأخُوَّة، ومن فَهْمِ ودراسةِ ما فعله المسلمون سابِقًا لنطبِّقَه حاليًّا في الوضع الحاضِر لنخرجَ بعدَ ذلك منتصِرين أعزَّاء، ولله العِزَّةُ ولرسولِه وللمُسلمين.

إنَّ ممَّا دفعني إلى اختيارِ هذا الموضوعِ ما ألمَّ بالمسلمين اليومَ مِن مصائبَ، وكيفَ تداعَت عليهم الأممُ وتكالبت مِن كُلِّ جانبٍ لإضعافِهم وفَتنِهم وإبعادِهم عن تمسُّكِهم بالدِّين، وذلك مصداقُ قولِه صلَّى الله عليه وسلَّم:

> "يُوشِكُ الأُمَمُ أن تداعى عليكُم كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصْعَتِهَا، فقال قائِلٌ: ومنْ قِلَّةٍ نحنُ يومئِذٍ؟ قال: بلْ أنتُم يومَئذٍ كثيرٌ، ولكِنَّكُم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ، ولَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ من صُدُورِ عدُوِّكُمُ المهابةَ منكُمْ، ولَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ في قلوبكُمُ الوهْنَ»، فقالَ قائِلٌ: يا رسُولَ اللَّهِ وما الوَهْنُ؟ قالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكراهِيَةُ المَوْتِ"[2].

فكان من أهمِّ الحاجاتِ المُلِحَّةِ اليومَ إيقاظُ الكثيرِ منَ المسلمين من غَفلتِهم، وإعادةُ ترسيخِ معنَى الأخوَّة والتراحُمِ والتعاون بينَهم، وذلك لتوحيد صفِّهم وإعلاءِ كَلِمتهم وشدِّ هممهم، ولا يكونُ ذلك إلَّا بالرجوعِ والتمسُّكِ بقواعد هذه الشريعةِ، وما أسَّسه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وبيَّنه بالحالِ والمَقالِ لتَقويةِ المسلمينَ وجَمعِ شملهم إذا ألَمَّت بهم المصائبُ. فكان من المهم بيانُ ظروفِ هذه المؤاخاة وثمرتِها، لنتعلَّمَ من إرثِنا القديمِ ولننطلِقَ منه إلى معاني المحبَّةِ والأخوَّةِ والتعاضُدِ لمواجهةِ مخاطِرِ المراحِلِ القادمة.

لقد اتَّبعتُ في هذا البحثِ المنهجَ الاستردادي التاريخي حيث قمت بعرض الأحداث التي وقعت قبل المؤاخاة بين المسلمين، ثم بيَّنت كيف حصلت هذه المؤاخاة مع بيان الزمان والمكان لها، ومن آخى الرسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم بينهما، ثمَّ استعملت المنهجَ الاستدلالي البرهاني بذكر

---

[2]- أبو داود سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود** (بيروت: المكتبة العصرية، ط:1، بدون السنة)، 4: 111 .

الأحاديث التي ذكرت فيها المؤاخاة ومع من حصلت، مع المنهج التفسيري التحليلي وذلك بذكر الآيات والأحاديث التي حثَّت على الأُخوَّة في الدين ورسخَّت معنى تعاضد والتعاون والمساندة بين المسلمين فيما بينهم وتجمُّع كلمتهم وشرحتها.

المبحث الأول: تعريف الإخوَّة في الدين والأدلَّة عليها

يتضمن هذا المبحثُ بيانَ المعاني اللغويَّة لكلمة الأُخُوَّة واشتقاقاتُها وتصاريفُها، ثم بيان معنى الأخوَّة في الدِّين انطلاقًا من المعنى اللُّغويّ مع ذكرِ الأدلَّةِ التي تدلُّ على هذا المعنى وتحثُّ عليه.

المطلب الأول: تعريف الأُخوَّة بمعانيها اللغوية واشتقاقاتها

الأخُ أصلُه أخَوٌ بالتَّحريك، لأنَّه جُمِعَ على آخَاء مُثل آباء، والذَّاهب منه هو "واو" لأنَّكَ تقولُ في التثنية أَخوانِ، وبعضُ العرب يقول أخَان على النَّقص. ويُجمعُ أيضًا على إخوان، وعلى إخْوَةٍ وأخوَةٍ عن الفرّاء. وقد يُتَّسَعُ فيه فيُرادُ به الاثْنانِ كقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾[3]، وهذا كقولك: "إنَّا فعلنا ونحن فعلنا" وأنتما اثنان. وأكثرُ ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء، والإخوةُ في الولادةِ. وقد جمع بالواو والنون، قال الشاعر [من الوافر]:

وكانَ بنُو فَزارةَ شرَّ عمٍّ * وكنتُ لهُم كشَرِّ بنِي الأَخينا[4]

والنسبة إلى الأخ أَخَوِيّ، وكذلك إلى الأخت لأنَّك تقول أخَواتٌ، وآخاه مُؤاخاةً وإخاءً، قالَ اللَّيْثُ: "الإخاءُ المُؤَاخاةُ والتأَخِّي، والأُخُوَّة قَرابة الأَخِ، والتَّأَخِّي اتّخاذُ الإخْوان"[5]، والعامة تقولُ واخاه، وفي الحديثِ: "أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ آخَى بينَ المُهاجرين والأَنصار"[6]، أي: أَلَّفَ بينهم بأُخُوَّةِ الإسلامِ والإيمانِ.

المطلب الثاني: تعريف الأخوة في الدين

قد سبق بيانُ الأُخوَّة بالمعنى الخاص وهو أُخوَّةُ النَّسب، والكلامُ الآن عن الأُخوَّة العامَّة وهي الأخوَّة التي ذكرها اللهُ عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾[7]، فهذه هي أُخوَّةُ الإيمان التي تجمعُ كلَّ مسلمٍ آمنَ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- نبيًّا ورسولًا، فهؤلاءِ جميعُهم يجمعُهم رابِطٌ قويٌّ متينٌ هو رابِط الدِّين، يوحِّدُ صفوفَهم ويُعلي رايتَهم ويقوّي شوكتَهم، بهذا الإيمان خرجُوا من ظلمةِ جاهليةٍ بغيضةٍ كثُر فيها التقاتل والحروب والثأرِ إلى نور الحضارة والرُّقيّ والتَّلاحُم، والذي يدلُّ على ذلكَ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ في كتابِه

---

[3]- **القرآن**، 4: 11.

[4]- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح** (بيروت: دار العلم للملايين، ط:4، 1407ه)، 545.

[5]- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط:3، 1414ه)، 14: 22.

[6]- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ، **المعجم الكبير** (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط:2، 1415ه)، 1: 252.

[7]- **القرآن**، 49: 10.

العزيز: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾[8]، أي: في الجاهلية يقتلُ بعضُكم بعضًا، ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[9]، أي: في الإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ﴾، أي: برحمتِه يعني بالإسلامِ، ﴿إِخْوَانًا﴾ والمؤمِنونَ إخوةٌ، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾، أي: كنتم مشركين فِي جاهليتكم، الميتُ فِي النَّار والحيُّ عَلَى شفا حُفرَةٍ منَ النَّار، ﴿فَأَنْقَذَكُمْ﴾، أي: اللهُ منَ الشِّرك إلى الإيمان، فالنعمةُ التي أنعمَ اللهُ بها على المسلمين والتي أمرَهُم تعالى بها في هذه الآية أن يذكُروها هي أُلفَةُ الإسلام واجتماعُ كلمتِهم عليها. قالَ العِزُّ بنُ عبدِ السَّلام في تعريفِ معنى الأُخوَّة:

> "الأخُوَّةُ حقيقيةٌ ومجازيةٌ، فالحقيقيَّة المشابهةُ، يقالُ: "هذا أخو هذا" لأنَّه شابهَه في خروجِه منَ البَطنِ الذي خرجَ منه ومِنَ الظَّهرِ أيضًا، وآثارُها المعاضَدَةُ والمناصَرَةُ، فتُستعملُ في هذه الآثارِ منَ التَّعبيرِ بالسَّببِ عن المسبَبِ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّما المُؤمِنونَ إِخْوَةٌ﴾، هو خبرٌ معناه الأمرُ، أي لِيَنصُرْ بعضُهم بعضًا، وقولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «المؤمِنُ أَخُو المؤمِنِ» خبرٌ أيضًا بمعنى الأَمر، ومعنى مؤاخاتِه عليه السَّلامُ أنَّه أمرَهُم أمرَ نَدبٍ أن يُعينَ كلُّ واحدٍ أخاهُ على المعروفِ ويُعاضدَه ويَنصُرَه، فصارَ المسلمانِ في هذه الأُخُوَّةِ الثَّانيةِ في أعلَى مراتب الأُخوَّة المجازيَّة، كما أنَّ الشَّقيقَ في أعلى مراتِب الأُخوَّة الحقيقيَّة"[10].
>
> فيتلخَّص من هذا أنَّ الأُخوَّة قسمان، أخوَّةٌ حقيقيَّةٌ وهي أُخوَّة النَّسب، والأخرى مجازيَّة وهي التي تربط المسلمين بعضهم ببعض لأجل المعاضدة والمناصرة، فصارت هذه الأخوَّة الثانيَّة في أعلى مراتب الأخوَّة المجازيَّة.

المطلب الثالث: ذكر الأدلة التي حثّت على هذا الرابط الديني

حثَّ شرعُنا الحنيفُ حثًّا بالغًا على معنى الأُخُوَّة في الإيمان، ذلك بأنَّ هذا الرابطَ يوحِّد هدفَ المؤمنين مع توحيدِ معتقدِهم في تنزيه الله وعدمِ الإشراك به، حيث إنَّ المسلم يسعى لرضا الإلهِ الواحدِ القهَّار. وقد وردَت في القرآن آياتٌ كثيرة تُبيّنُ معنى إخوَّةِ الأيمان وتحثُّ عليه، منها ما ذُكر آنِفًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّما المُؤمِنونَ إِخْوَةٌ﴾[11]، وقولِه تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ﴾[12].

---

[8] **القرآن**، 3: 103.

[9] **القرآن**، 3: 103.

[10] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود** (بيروت: دار ابن حزم، ط: 1، 1433هـ)، 2: 748.

[11] **القرآن**، 49: 10.

[12] **القرآن**، 3: 103.

ومنها أيضًا قولُه تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[13]، قال الطبريُّ في تفسيرِه:

"يقولُ جلَّ ثناؤُه فإن رجعَ هؤلاءِ المشركونَ الذينَ أمَرتُكم أيُّها المؤمنونَ بقتلِهم عن كُفرِهم وشِركِهم باللهِ إلى الإيمان بهِ وبرسولِه وأنابُوا إلى طاعتِه وأقامُوا الصَّلاةَ المكتوبةَ فأدَّوها بحُدودِها وآتَوا الزَّكاةَ المفروضةَ أهلَها فهُم إخوانكم في الدِّينِ الذي أمركُم اللهُ به وهو الإسلامُ"[14].

وهذا من كرمِ اللهِ وجودِه إذ وَعَدَ الذين افترَوا على اللَّهِ كَذِبًا وكذَّبوا رسولَ الله إن ينتَهوا عن كُفرِهم ويؤمِنُوا باللهِ ورسولِه ويُقِيموا الصَّلاةَ المفروضةَ ويُؤتوا الزَّكاةَ الوَاجِبةَ وَعدَهم بالمغفِرَة وجعَلَهم إخوانًا للمسلمين.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[15]، ومعنى الآية أَخرجنا ما في صدور هؤلاء المتَّقين من حقدٍ وضغينةِ بعضِهم لبعضٍ، واختلفَ أهلُ التأويلِ في الحالِ التي ينزعُ اللهُ ذلكَ من صدورهم، فقال بعضهم: "ينزع ذلكَ بعد دخولهم الجنة"، وعن أبي موسَى سمعَ الحسنَ البِصريَّ يقولُ: "قال عليٌّ: "فينا واللهِ أهلِ بدرٍ نزلت الآيةُ"[16].

وقد جاء هذا الحثُّ أيضًا على لسانِ نبيِّه المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم في أحاديثَ كثيرةٍ سمَّى فيها المسلمِين إخوةً وحثَّهم على خصالٍ حميدةٍ في تعامُلِهم فيمَا بينَهم، من هذه الأحاديثِ قولُه صلَّى الله عليه وسلَّم:

"مَنْ نَفَّسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن يَسَّرَ على مُعسِرٍ يسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرَة، ومَن سترَ على مُسلِمٍ سترَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرَة، وَاللَّهُ فِي عَونِ العَبْدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أَخِيهِ"[17].

فسمَّى المسلمَ الآخرَ أخاه وحثَّه على إعانته في كربتِه ورغَّبه في ذلك بأنَّ اللهَ يعينُه في أمورِه، وقولُه صلَّى الله عليه وسلَّم:

"لا تَحاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بعضُكُم على بَيعِ بَعضٍ، وكونوا عِبادَ اللهِ إخوانًا، المسلمُ أخُو المسلِمِ، لا يَظلِمُهُ ولا يَخذُلُهُ ولا يَحقِرُهُ، التَّقوى هَاهُنا"[18].

---

[13]- **القرآن**، 9: 11.

[14]- الطبري، **تفسير الطبري**، 11: 361.

[15]- **القرآن**، 15: 47.

[16]- الطبري، **تفسير الطبري**، 17: 107.

[17]- أبو **داود**، **سنن أبي داود**، 4: 287.

[18]- مسلم، **صحيح مسلم**، 4: 1986.

ويشيرُ إلى صَدرِه ثلاثَ مرَّاتٍ، وهذا حديثٌ عظيمُ الفائِدَةِ في وَحدَةِ المسلمين وعَدَمِ التَّفرِقَةِ بينهم، وذلكَ بإزالة البغضَاءِ والشَّحناءِ والتَّحاسُدِ وسائِرِ أمراضِ القلوب بينهم، وعدمِ ظلمِ وخِذلانِ وتحقيرِ المسلمِ للآخَر، بل حثٌّ بالِغٌ على التآلُفِ والمحبَّة والتوادِّ فيما بينَهم، إذ إنَّ المسلمَ الآخرَ أخوه في الإسلام، ومن شأن الأخِ أن ينصُرَ أخاه ويدافِعَ عنه، ولا يظلمُه ولا يُؤذِيه بأنواع الإيذاء. كما حثَّ نبيُّنا الكريمُ صلَّى الله عليه على التجمُّعِ والتعاضُدِ ووَحدَةِ الصَّفِ في قولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم:

علَيكُم بالجَمَاعَةِ وإيَّاكُم والفُرقَة فإنَّ الشَّيطانَ معَ الوَاحِدِ، وهوَ مِنَ الاثنَينِ أبعَدُ،

مَن أرادَ بُحبوحَةَ الجَنَّةَ فلْيَلزَمِ الجمَاعةَ"[19].

فأمرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بمُلازمةِ الجماعةِ وعدمِ تركِها لما في العُزلَةِ مِن خَطَرِ وَسوَسةِ الشَّيطانِ لهُ فيوقِعُه بالمهالِكِ، وغيرُ ذلكَ من الأحاديثِ الكثيرةِ في بيانِ كيفيَّةِ التَّعامُلِ بينَ المسلمينَ، وفيه ذِكرُ الأَخِ للتَّرقِيقِ والامتِثالِ للأَوامِر.

المبحث الثاني: المؤاخاة المكيَّة والمدنيَّة والأحكام المتعلَّقة بها

يتضمن هذا المبحثُ الكلامَ على المؤاخاةِ التي قامَ بها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم والظروفِ التي أحاطت بها، وكيف حصلت، ومن أخى النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وماذا يترتَّب على هذه المؤاخاةِ من أحكام.

المطلب الأول: المؤاخاة المكيَّة

حصلت المواخاةُ مرَّتَينِ، كانت الأولى في مكَّةَ المكرَّمةِ قبلَ هجرةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وكانت هذه المؤاخاةُ بينَ المهاجرينَ بعضِهم مع بعضٍ لتوثيقِ الروابطِ بينَهم، ليمكِّنَهم هذا الرَّابطُ من مواجهةِ الظُّروفِ الصَّعبةِ وما كانوا يعانونَه من آذى الكفَّارِ علَيهم، آخَى بينهمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ على الحَقِّ والمُواساةِ، فآخى بينَ أبي بكرٍ وعُمرَ، وبينَ حمزةَ وزَيدِ بنِ حارِثةَ، وبينَ عُثمانَ وعبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوْفٍ، وبينَ الزُّبَيرِ وابنِ مَسْعُودٍ، وبينَ عُبَيْدَةَ بنِ الحارِثِ وبلالٍ، وبينَ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ وسَعْدِ بنِ أَبي وقَّاصٍ، وبينَ أَبي عُبَيْدَةَ وسالِمٍ مولَى أَبي حُذَيْفَةَ، وبينَ سعِيدِ بنِ زيدٍ وطلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، حتَّى بقيَ عليٌّ عليهِ السَّلامُ وكانَ رجُلًا شُجاعًا ماضِيًا على أَمْرِهِ إذا أرادَ شيئًا، فقالَ رسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: "أما تَرضَى أنْ أكُونَ أَخاكَ، قال: "بلى يا رسُولَ اللَّهِ رَضِيتُ"، قال: فأنْتَ أخي في الدُّنْيا والآخِرَةِ"[20].

---

[19]- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، **سنن الترمذي** (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط:2، 1395ه)، 4: 465.

[20]- محمد بن محمد المعروف بابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير** (بيروت: دار القلم، ط:1، 1414ه)، 1: 230.

المطلب الثاني: المؤاخاة المدنية

ثمَّ لمَّا نزلَ النبيُّ عليه الصلاةُ والسَّلامُ المدِينَةَ آخى بينَ المُهاجِرينَ والأنصارِ على المُواساةِ والحقِّ في دارِ أَنَسِ بنِ مالِكٍ لِيُذهِبَ عنهم وَحشةَ الغُربةِ ويُؤنِسَهُم من مُفارَقةِ الأهلِ والعشِيرَةِ ويَشُدَّ أَزْرَ بعضِهِم ببعضٍ[21].

ثمَّ اختُلِفَ في الزَّمن الذي حصَلَت فيه المؤاخاةُ المدنيَّةُ، فمِنَ العلماءِ مَن قال إنَّها كانت بعدَ بِنائِهِ عليهِ السَّلامُ المسجِدَ، وقيلَ كانَ ذلكَ والمسجِدُ يُبْنى، ومنهم مَن قالَ بعدَ قُدُومِهِ عليهِ السَّلامُ المدِينَةَ لِخمسةِ أَشهُرٍ[22]، وقيلَ لثمانيةِ أشهرٍ[23].

وحينَ أرادَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يؤاخيَ بين أصحابِهِ من المُهاجِرينَ والأنْصارِ قالَ: تآخَوا في اللَّهِ أَخَوَينِ أَخَوَينِ، ثُمَّ أخذَ بيدِ عليِّ بنِ أبي طالِبٍ فقال: هذا أَخِي[24].

فكان رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهو سيِّدُ المُرسلِينَ وإمامُ المُتَّقِينَ ورسُولُ ربِّ العالمِينَ وعلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رضيَ اللَّهُ عنْهُ أخوَيْنِ، وكانَ حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وعَمُّ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وزيدُ بنُ حارِثةَ مولَى رسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ سلَّمَ أَخَوَيْنِ، وجعفرُ بنُ أبي طالِبٍ ذُو الجناحَينِ الطَّيَّارُ في الجنَّةِ ومعاذُ بنُ جبلٍ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ أخَويْنِ، وكان جعفرُ يومَئِذٍ غائِبًا بأرضِ الحَبَشَةِ.

وكان أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي اللَّهُ عنهُ ابنُ أبي قُحافَةَ وخارِجَةُ بنُ زُهَيرٍ أَخَوَيْنِ، وعُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضِي اللَّهُ عنهُ وعِتْبانُ ابنُ مالِكٍ أخوَينِ، وأَبو عُبَيْدَةَ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الجرَّاحِ، واسمُهُ عامِرُ بنُ عبدِ اللَّهِ، وسَعْدُ بنُ مُعَاذِ بنِ النُّعْمانِ أخوَينِ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوْفٍ وسعدُ بنُ الرَّبِيعِ أخوَينِ. والزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ وسلامةُ بن سلامةَ بنِ وَقْشٍ أخوَينِ، وعثمانُ بنُ عفَّان وأَوسُ ابنَ ثابِتِ بنِ المُنْذرِ أخوَينِ، وطلحةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وكعبُ بنُ مالِكٍ أخوَينِ، وسعدُ بنُ زَيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ وأُبَيُّ بنُ كَعْبٍ أخوَينِ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمٍ وأبو أَيُّوبَ خالِدُ بنُ زَيْدٍ أخوَينِ، وأبو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بنِ ربيعَةَ وعبَّادُ بنُ بِشْرِ بنِ وقْشٍ أخوَينِ.

وكان عمَّارُ بنُ ياسِرٍ وحُذيفةُ بنُ اليمانِ أخوَينِ، ويقال: ثَابِتُ بنُ قَيْسِ بنِ الشَّمَّاسِ وعمَّارُ بنُ ياسِرٍ أخوَينِ، وأبو ذَرٍّ، وهُو بُرَيْرُ بْنُ جُنَادَةَ الْغِفَارِيُّ، والمنذرُ بنُ عمرَ أخوَينِ، وحاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ وعُوَمُ بنُ ساعِدَةَ أخوَينِ، وسلمانُ الفارسيُّ وأبو الدَّرداءِ أخوَينِ، وبلالٌ مولَى أبي بكرٍ رضيَ اللَّهُ

---

[21]- ابن سيد الناس، **عيون الأثر**، 1: 230-231.

[22]- المرجع السابق ، 1: 231.

[23]- مغلطاي بن قليج بن عبد الله، **الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا** (بيروت: دار القلم، ط:1، 1416ه)، 177.

[24]- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير** (القاهرة: الأزهر الشريف، ط: 2، 1426ه)، 4: 459

عنهما مُؤَذِّنُ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وأبو رُوَيْحَةَ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرَّحمنِ الخَثْعَمِيُّ أخوَينِ. فهؤُلاءِ منْ سُمُّوا مِمَّنْ كان رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم آخى بينهم من أصحابِهِ، وفي كتب السِّيَرِ خِلافٌ في ذِكرِ بَعضِ من أخاهُ الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وفي ذِكرِ عَددِ مَن آخاهُم صلَّى الله عليه وسلَّم[25].

المطلب الثالث: الأحكام المتعلّقة بالمؤاخاة

كان هدفُ النبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهو القائدُ الأعظمُ لهذه الأُمَّةِ ومرشِدُها على مدى الزَّمان والعصور، مِنَ المؤاخاةِ المكّيَّةِ التي حصلَت أوَّلًا بين المهاجِرينَ فيما بينَهم في مكَّةَ، والمؤاخاةِ المدنيَّةِ التي حصلَت فيما بعدُ بعدَ الهجرةِ النبويَّةِ إلى المدينةِ المنوّرةِ بينَ الأَنصارِ والمهاجرينَ لِيُذهِبَ عنهم وَحشةَ الغُربةِ ويَشُدَّ أَزْرَ بعضِهِم ببعضٍ ويقوّي الرَّوابطَ بينَهم، وكانَ مِن أحكامِ هذه المؤاخاةِ أنَّهم كانُوا يتَوَارثُونَ بذلكَ دُونَ القَراباتِ. فلمَّا عَزَّ الإسلامُ واجتمعَ الشَّملُ وذَهَبتْ الوَحشةُ أنزَلَ اللهُ سبحانَه قولَه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[26]، فنسخَ اللهُ تعالى ذلكَ الحُكمَ بهذِه الآيةِ وبيَّنَ أنَّ الرَّحمَ مُقدَّمٌ على المؤاخَاةِ والوَلاءِ، فانقَطَعَت المؤاخاةُ في الميراثِ، وبَقِيَت في التَّوادُدِ وشمولِ الدَّعوَةِ والمناصَرةِ، ثُمّ جَعلَ المؤمنينَ كلَّهم إخوةً هذا فى التَّوادِّ، وكان ذلك وقتَ وقعةِ بدرٍ[27].

وكانت الحكمةُ من المؤاخاةِ أنَّ بعضَ المهاجرين كان أقوى من بعض بالمالِ والعشيرة، فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفقَ الأدنى بالأعلى ويستعينَ الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهرُ حكمةُ مؤاخاتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لعليٍّ لأنَّه هو الذي يقومُ به منَ الصِّبا قبل البعثةِ واستمرَّ على ذلك، وكذا مؤاخاةُ حمزةَ وزيدٍ لأنَّ زيدًا مولاهُم فقد ثبتَت أخوتُهما وهما من المهاجِرين.

وكانَ الذّينَ آخى بينَهم تسعينَ رجلًا، خمسةً وأَربعين من المهاجرين، وخمسةً وأربعين من الأنصار، ويقالُ خمسينَ من هؤلاء وخمسين من هؤلاء، ويقال إنَّه لم يبقَ منَ المهاجرين أحدٌ إلَّا آخى بينه وبين أنصاريّ. وقالَ ابنُ الجوزيّ: "وقد أَحصَيتُ جملَة من آخى النبيُّ بينَهم فكانوا مائةً وستةً وثمانين رجلا"[28].

---

[25]- عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام** (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط:2، 1375)، 1: 504- 507؛ ابن سيد الناس، **عيون الأثر**، 1: 231-233.

[26]- **القرآن**، 8: 75.

[27]- عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط:1، 1412ه)، 4: 296.

[28]- أحمد بن عليّ المقريزيّ، **إمتاع الأسماع بما للنبيّ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط: 1، 1420ه)، 1: 69.

وكان من جميل ما عَمِلَه الأَنصارُ مع المهاجرين، وهم الذين تركُوا ديارَهم وأموالَهم لنُصرَةِ الدِّين وإعلاءِ كَلِمَةِ التَّوحيدِ، أن اقتسَمُوا بينَهم وبينَ المهاجرين أموالَهم وأراضِيهم وبيوتَهم، حتَّى إنَّ البعضَ كان يُطلِّقُ إحدَى زوجتَيه ليتزوَّجَها أخوه من المهاجرين، وقد ثبتَ في الحَديثِ الصَّحيحِ عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ أنَّه قال:

"لَمَّا قَدِمنا المدينَةَ آخى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بيني وبينَ سعدِ بنِ الرَّبيعِ، فقالَ سعدٌ: "إنِّي أكثرُ الأنصارِ مالًا، فأَقسِمُ لكَ نِصفَ مالي، وانظُر أيَّ زوجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لكَ عنها، فإذَا حلَّتْ تزوَّجتَها"، فقالَ له عبدُ الرَّحمنِ: "لا حاجةَ لي في ذلكَ"[29].

وما ذلك إلَّا دليلٌ على شدَّة المحبَّة بينهم ورغبَتِهم في التخفيفِ عنِ المهاجرين وتمسُّكِهم العَميقِ بهذا الدِّينِ الحنيفِ لنُصرتِه. فعن أنسِ بنِ مالِكٍ قال:

"قال المُهاجرُون: يا رسولَ اللَّهِ ما رأَينا مِثْلَ قومٍ قَدِمنا عليهمْ أَحسنَ مُواساةً في قليلٍ ولا أَحسنَ بذلًا من كثيرٍ، كفَونا المؤْنَةَ وأَشرَكُونا في المَهْنَأِ حتَّى لقد خَشِينا أنْ يَذْهَبُوا بالأَجْرِ كُلِّهِ، قال: لا، ما أَثنَيتُم علَيهم ودَعَوتُم لهُمْ، رضي الله تعالى عن المهاجرين والأنصار"[30].

رسَّخت الأُخُوَّةُ في الدِّين معنى المحبَّة والتضامن بين المهاجرين، الذين تركوا ديارهم وأموالهم، وبين الأنصار، الذين اقتسموا ديارَهم وأموالَهم بينهم وبين المهاجرين، ليظهرَ بذلك تعلُّقُ وتمسُّكُ الفريقين بالدِّين وبذلُهم أغلى ما عندهم لنُصرته.

المبحث الثالث: الاستفادة من المؤاخاة وما فيها من العِبَر لتطبيقها في يومنا هذا

يتضمن هذا المبحثُ الكلامَ على كيفية الاستفادة مما أسَّسه الرَّسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم وبيَّنَه في المؤاخاةِ التي فعلها في زمانهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وكيف نستفيدُ من صبرِ المهاجرين وأفعالِ الأنصارِ مع المهاجرين لتَطبيقِ هذه المعاني في يومِنا هذا.

المطلب الأوَّل: وضع الأُمَّة الحالي من تشرذم وضياع وكثرة انتشار الجهل

لا يخفى على الجميع ما تمرُّ به أمَّتُنا الإسلاميَّةُ اليومَ من مآساةٍ وظلمٍ وتجويعٍ وتشريدٍ، وكيف تداعت عليهم الأُممُ من كلِّ جنبٍ كما تداعى الأكَلَةُ إلى قصْعَتِهَا، وكيف انقلبَ الحالُ إلى تشرذُمِ المجتَمعِ الإسلاميّ وانفكاكِه وضياعِه في كثيرٍ من الأحوال، وما ذاكَ إلَّا لكثرَةِ ما نراهُ مِن مُنكَراتٍ وفواحشَ وبُعدٍ عن التمسُّكِ بالدِّين في كثيرٍ مِن أبناءِ المسلمين، إلَّا مَن رَحِمَ ربِّي.

إنَّ في انتشارِ الجَهلِ بينَ الناس وتركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ السببَ الأساسَ فيما يُصيبُ المسلمينَ اليومَ، ذلك لأنَّ كثيرًا منهم تركُوا تعلُّمَ أحكامِ الدِّينِ والعملَ بها، واتَّبعوا الشهواتِ والفِتَنَ التي يُلقيها عليهم أعداؤُهم، فصارَ هَمُّ كثيرٍ من النَّاسِ جمعَ المالِ والعيشَ الرغيدَ،

---

[29]- البخاري، **صحيح البخاري**، 3: 52.

[30]- أحمد بن أبي بكر البوصيري، **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة** (الرياض: دار الوطن للنشر، ط:1، 1420ه)، 6: 475.

فتمسَّكوا بدنيا زائلةٍ وتركُوا العملَ للآخرةِ، فآثروا الفانيةَ على الباقِية، حتَّى تغافلَ الكثيرُ عن أحكامِ الزَّكاةِ الواجبةِ معرفتُها لتأديتِها على الوجهِ الصَّحيحِ للمستحقّين إن كانَ مِن أهلِها، وانشغلَ الكثيرُ عن النَّظرِ في أحوالِ المسلِمينَ وما يُصيبُهم في أنحاءِ العالمِ من جوعٍ وتشريدٍ وأمراضٍ.

كلُّ ما نراهُ اليومَ قد أخبرنا به الصَّادِقُ المصدوقُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في أحاديثَ عديدةٍ، مِن وذلك قولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبلَكُم شِبرًا بِشِبرٍ وذِراعًا بذِراعٍ حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكتُموه، قُلنا: "يا رسولَ الله اليهودُ والنَّصارَى؟، قال: فمن"[31]، ففي الحديثِ دليلٌ على بُعدِ الكثير اليومَ عن أحكامِ الدِّين واتِّباع أعداءِ الدِّين فيمَا يخطِّطون له لضياعِ أبناءِ المسلمين، وقد حصلَ. ومن ذلك قولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "إنَّ النَّاسَ إذا رأَوا الظَّالمَ ولم يأخُذوا على يدَيه أوشكَ أن يَعُمَّهم اللهُ بعذابٍ من عندِه"[32]، وفيه دليلٌ على ما يحصُلُ اليومَ مِن تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكَر في كثيرٍ من الأحيان، فكانَ سببًا لنزول البلاءِ عامًّا على المسلمين.

وممَّا أخبرَ به نبيُّنا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عمَّا سيحصُلُ في هذه الأمَّة من شدَّةٍ ومصائبَ ما رواه عنه أنسُ بنُ مالكٍ ممَّا سمعه منه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "اصبِروا فإنَّه لا يأتِيكُم زَمانٌ إلَّا وبعدَه أشدُّ منهُ حتَّى تَلقَوا ربَّكُم عزَّ وجَلَّ "[33]، وفي ذلك دليلٌ على شِدَّة الأَمرِ كلَّ يوم أكثر ممَّا مرَّ، وقد حصل.

فإنَّ نبيَّنا العظيمَ قد أخبرنا بوحيٍ من اللهِ تعالى عمَّا سيحدثُ في هذه الأُمَّةِ، وقولُه حَقٌّ وصِدقٌ، وحذَّرنا من مخاطرِ المستقبَلِ والزَّمنِ الذي نحنُ مقبلونَ عليه، لكنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم بيَّنَ لنا أيضًا كيف يكونُ التغلُّبُ على تلكَ المخاطرِ وكيفَ يكونُ التجاوزُ عنها، فقال عليه الصَّلاةُ السَّلام:

"إنَّ هذا القُرآنَ هو حَبْلُ اللهِ، والنُّورُ المُبِينُ، والشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةُ مَنْ تَبِعَهُ، وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ"[34].

فبيَّن لنا صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ تمسُّكنا بقرءانِنا العظيمِ في كُلِّ الأَزمانِ فيه نجاتُنا وعصمتُنا وشفاؤُنا من كُلِّ ما يُلمُّ بنا اليومَ من بَلاءٍ ووَباءٍ، فكلَّما تمسَّكنا به قَوِينا ونُصِرنا، وكلَّما بعدُنا عنه اقتربنا من المخاطرِ التي تحدَّثَ عنها الحبيبُ صلَّى الله عليه وسلَّم، لذلك أعداءُ الدِّينِ يسْعَونَ سعيًا حثيثًا لإبعاد المسلمين عن كتاب الله العزيز.

كما بيَّن لنا الصحابةُ رُضوانُ الله تعالى عليهم ذلكَ وهمُ المتَّبِعون لآثارِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ونهجِه وتعليماته ممَّا علَّمهم النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقد وردَ عن سيدِّنا أبي بكر الصدِّيقِ

---

[31]- البخاري، **صحيح البخاري**، 4: 169.

[32]- أبو داود، **سنن أبي داود**، 4: 122.

[33]- يحيى بن الحسين الجرجاني، **ترتيب الأمالي الخميسية للشجري** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط: 1، 1422ه)، 2: 262.

[34]- أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان** (الرياض: مكتبة ارشد للنشر والتوزيع، ط: 1، 1423ه)، 3: 371

رضي اللهُ تعالى عنه أنَّه جمعَ النَّاسَ وهوَ مريضٌ، فأمرَ من يحمِلُه إلى المِنبَرِ، فكانَت آخِرَ خُطبةٍ خَطَبَ بها، فحمِدَ اللهَ وأثنَى علَيه ثمَّ قالَ:

"يا أيُّها النَّاسُ احذَرُوا الدُّنيا ولا تَثِقُوا بها، غرَّارةٌ، وآثِروا الآخرةَ على الدُّنيا فأَحِبُّوها، فبُحبِّ كُلِ واحِدَةٍ منهُما تُبغِضُ الأُخرَى، وإنَّ هذا الأمرَ الذي هو أملكُ بنَا لا يَصلُح آخرُه إلَّا بمَا صلَحَ به أوَّلُه"[35].

فكان في كلامه رضي الله عنه الدعاءُ والحثُّ على التمسُّكِ بأحكامِ الدِّينِ؛ لأنَّها الخلاصُ الوحيدُ ممَّا نعانيه اليومَ من آلامٍ ومآساة.

المطلب الثاني: أخذ العبروالاستفادة من معاني المؤاخاة

إنَّ فيما فعلَه المهاجِرونَ والأنصارُ من محبَّةِ بعضهم في الله والتمسُّكِ بدِينِ اللهِ وإيثارِهم الآخرةَ على الدنيا الكثيرَ الكثيرَ من العِبَرِ والدروسِ والمواعظِ، وفي نهجِهم بيانٌ لنا لطريقِ النَّجاةِ والفَلاحِ من المآزق التي نمرُّ بها في أيَّامنا الصَّعبة.

أمَّا المهاجرون فقد تركوا أموالَهم وديارَهم وأراضيهم امتثالًا لأمر اللهِ عزَّ وجلَّ وطاعةً لرسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ متوكِّلين على اللهِ تعالى الواحِدِ الأحَدِ، لا يُثنيهم عن ذلكَ الخوفُ من الأعداء، ولا الخوفُ من الجوعِ والعَطَشِ والتَّشرُّد، ذلكَ لأنَّ هجرتَهم كانت لله ولرسوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ودِفاعًا عن الدِّينِ الحَنيفِ الَّذي دانوا به بعدَ أن هدَاهُم الرسولُ الأعظمُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إليه، باذِلينَ لنُصرتِه مُهَجَهم وكلَّ ما يملِكُونَه، وصابرينَ على مشقَّةِ الهِجرةِ من مكَّةَ إلى المدينة، فهم أعظمُ قُدوةٍ لنا في تمسُّكهم بهذا الدِّين والدِّفاعِ عنه مهما كلَّفَ الأمرُ، وقد مدحُهم اللهُ تعالى في القرءانِ الكريم بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[36].

وأمَّا الأنصارُ فقد فتَحوا لإخوانهم المهاجرينَ قلوبَهم قبلَ أن يفتَحُوا لهم بيوتَهم، ووَسِعوهم بصُدورِهم قبلَ أن يسَعُوهُم بأموالِهم وأَراضيهم، وتسَابَقوا إلى لقائِهم وإكرامِهم، فضَربوا في بابِ الإيثار وسَخاءِ النَّفس وكرم الأخلاقِ مثلًا عَلِيًّا لا تزالُ تذكرُها لهم الأجيالُ المتعاقبةُ بالإكبارِ والإعظام، وقد وردَ أيضًا في القرءانِ الكريم مدحُهم في قولِه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[37].

---

[35]- عمر بن شبة، **تاريخ المدينة لابن شبة** (جدة، بدون الناشر، ط: 1، 1399ه)، 2: 666.

[36]- **القرآن**، 59: 8.

[37]- **القرآن**، 59: 9.

إنَّ فيما فعلَه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم من المؤاخاةِ بين أصحابِه بيانٌ للأُمَّةِ بجُملتِها سبيلَ الخلاصِ من المصاعِبِ والمصائِب والنَّكبات في أي زمنٍ حدَثت، حيثُ أثمرَت المؤاخاةُ ثمرتَها، وربطَت بالمودَّة على قلوبِ المؤمنين، وقضَت على العصبيَّةِ والنُّفورِ الذي كان بينَ القبائل في الجاهليَّة، وبهذه المؤاخاةِ إزدادَت وَحدَةُ المسلمينَ توكِيدًا، حتَّى أدَّى ذلك إلى نُصرتِهم بعدَ سنواتٍ قليلةٍ، فعادوا إلى مكَّةَ فاتحينَ لها آمنين، متمكِّنين من إظهار شعائر الإسلام وإعلاءِ كلمةِ التوحيد.

المطلب الثالث: تطبيق هذه المعاني في عصرنا الحالي من خلال مختلف وسائل التواصل

إنَّ من أكثر ما نحتاجُه اليومَ العودَ إلى التمسُّكِ بدينِنا العَظيمِ الَّذي سَنَّ لنا فيه رسولُنا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الطريقَ في أمورِ حياتِنا كلِّها على مدى الأزمان، فإنَّ في التزام دينِنا غُنيةً لنا عن الآخرين، ففيه فَرْضُ الزَّكاةِ على من اكتملت في أموالِه الشُّروطُ وإعطاؤها للفقراءِ من المسلمينَ، فيستغني هؤلاءِ بأموالِ الأَغنياء، كما أشارَ إلى ذلكَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بقولِه: "فأعلِمْهُمْ أنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم صدقَةً في أموالِهم تُؤْخذُ مِن أغنيائِهِمْ وتُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ"[38]. فإنَّ المسلمين اليومَ لو التزموا بأحكام الزكاة مع ما يملكه الكثيرُ من المسلمين من الأموالِ الطائلةِ التي أنعمَ اللهُ بها عليهم لكفَوا كثيرًا من الفقراء ووسِعوهُم بأموالِهم من غير أن ينقُصَ منها، إذ إنَّ في أداءِ الزَّكاةِ بركةً لهم ونماءً وطُهرةً، كما حصلَ في زمنِ سيِّدنا عمرَ الفاروقِ حيث رؤي مستلقِيًا تحت شجرةٍ من غير حَرسٍ وهو أميرُ المؤمنين حتَّى قالَ قائِلٌ: "حَكَمْتَ فَعَدَلْتَ فأَمِنْتَ"[39]، وكانوا في أوقاتِه يبحثونَ عن المستحقِّينَ لإعطائهم مالَ الزكاة فلا يجدوا.

كما حثَّ الشرع على الوَقف، وهو أن يوقف المسلمُ شَيئًا من أموالِه على الفقراء أو على طلبةِ العلم أو على طائفةٍ من المسلمين فيهم صفةٌ هو يُعيّنها، فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حثَّ الصحابة على ذلك فصار الصحابةُ يوقفون أنفسَ أموالِهم طلبًا للثَّواب ومرضاةِ اللهِ، فمِن ذلكَ أنَّ عُمرَ بنَ الخَطَّابِ أصابَ أرضًا بخَيبرَ، فأتَى النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم يستَأمِرُه فيها، فقالَ: "يا رسولَ الله إنِّي أَصَبتُ أرضًا بخَيبَر لم أُصِبْ مالًا قَطُّ أنفَسَ عندي منه فما تَأمُرُ به؟ قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: "إنْ شِئتَ حَبَسْتَ أصلَها وتَصدَّقْتَ بها"[40]، فتصدَّقَ بها عُمرُ على أنَّه لا يباعُ أصلُها ولا يوهبُ ولا يورثُ. وقد ساهمت أوقافُ المسلمينَ في كثيرٍ من البلاد في التغلُّب على الاستِعمارِ كما حصل في الجزائر.

إنَّ الذي يدفع المؤمنَ إلى الجهاد وبذلِ مُهجتِه وأَمواله وما يملكه في سبيلِ الله تعالى إيمانُه باللهِ الواحِدِ الغفَّارِ، الذي وعدَ المسلمينَ الذين أطاعوا اللهَ عزَّ وجلَّ وأطاعَوا رسولَه صلَّى الله عليه

---

[38]- البخاري، **صحيح البخاري**،2: 104.

[39]- أبوالحسن عليّ بن محمَّد الماوردي، **أدب الدنيا والدين** (بيروت: دار مكتبة الحياة، ط:1، 1986م)، 139.

[40]- البخاري، **صحيح البخاري**، 3: 198.

وسلَّم بجنَّاتٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ تجري من تحتِها الأنهار، فيها ما تشتهيه النَّفس، تلك الجنَّةُ التي هي دارُ السَّلام الأبديّ، ووعدُ اللهِ حقٌّ، وإيمانُه بأنَّ الله تعالى هو أكرم الأكرمين، يثيبُ المؤمنَ المسلِمَ على العملِ القليلِ الكثيرَ، واسعُ الجود والكرمِ سبحانَه، واعتقادُه بأنَّ هذه الدنيا زائلةٌ لا تدومُ لأحدٍ وهي دارُ البلاء، فالذكيُ من اختار الآخرةَ وآثرها على الدنيا وعمِلَ لما بعد الموت. إنَّ هذا الإيمان هو الذي دفعَ المهاجرين والأنصارَ إلى بذل ما بذلوه في سبيل الله.

وإنَّ في المؤاخاة التي أسَّسها الرسول صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نهجًا لنا نتَّبعه بعده صلَّى الله عليه وسلَّم ونأخذُ منه الدروسَ والعبرَ، وذلك بتعزيز الأُخوَّة في الدين والمحبَّة في الله، حيثُ يستشعر المسلمُ لأخيه هذا الرَّابطَ القويَ ويحبُّه في اللهِ لا لأيّ مصلحةٍ دنيويَّةٍ، مع التمسُّك بعقيدته بأنَّ الله تعالى وعَدَ من عَمِلَ صالحًا أن يُدخِلَه الجنَّة حيث النَّعيمُ المقيمُ، كما دلَّ على ذلك القرءانُ الكريمُ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[41]. وإنَّ في ديننا آياتٍ وأحاديثَ كثيرةٍ حثَّت على خصالٍ حميدةٍ في التعامل بين المسلمين، ما يدفعُ المؤمِنَ على فعلِ الخيرات طلبًا لمرضاة الله عزَّ وجلَّ وللثَّواب، فيسعى المؤمنُ الى نُصرةِ أَخيه المؤمِنِ ومُساندتِه في الشدَّة والضيقِ.

وإنَّ في انتشار وسائل الإعلام والتواصلِ اليوم بينَ الناس سبيلًا مهمًّا لتقريب المسافات بين المسلمين لمعرفة أحوالِ بعضهم ومساعدة بعضهم، فيستطيع ساعي الخير التقصّي عن أحوالِ الفقراءِ والمحتاجين والمرضى، فيبذُلَ ما عنده من أموالٍ إليهم، فإنَّ من يريد فعلَ الخير يجِدْ طريقًا لذلك.

في الجملة، ممَّا يستفاد من المؤاخاة أنَّ عمل الخير ليس محصورًا في جماعة دون أخرى، فإنَّ من أراد الخيرَ لغيره يجِدُ سبيلًا لذلك إمَّا في أمواله، أو في إيواء غيره في دارِه، أو في خدمته للمسلمين ببدنِه، فإن لم يستطع ذلك كلَّه فبلسانه بالدعاء لهم، وإنَّ المسلمَ كُلَّما تمسَّك بدينِه عرفِ أهميَّةَ فعلِ الخَير لينفعَ نفسَه في الآخرة، فيستفيدُ غيرهُ من عملِه ويستفيدُ هو من الثَّواب بإذن الله.

الخاتمة

ختامًا، يتلخَّص من هذا البحث مجموعة من النتائج تظهر بالنقاط الآتية:

1. أهمية المؤاخاة التي أسَّسها الرَّسول صلى الله عليه وسلم لوَحدة المسلمين وتضامنهم.
2. ما كان لهذه المؤاخاة من آثار في المعاضدة والمناصرة بين المهاجرين والأنصار.

[41]- القرآن، 4: 124.

3. أخذ الدروس من فعل المهاجرين في إيثارهم الباقية على الفانية، ومن فعل الأنصار في بذل أغلى ما عندهم لإخوانهم في الدِّين كل ذلك لنصرة الدِّين.
4. إظهار ثمرة المؤخاة التي أدَّت إلى نصرة المسلمين فيما بعد على المشركين وفتح مكة.

التوصيات

وممَّا يساعد على هذا كلِّه توصياتٌ أُلخِصُها بالنقاط الآتية:

1. الوعيُ الدينيُّ بين المسلمين، ويحصل هذا بتعلُّم علمِ الدِّين الصَّافي البعيدِ عن الغلوِّ والتطرُّف، وهذه مسؤوليةٌ ملقاةٌ على عاتقِ العلماءِ والمشايخِ في عصرِنا لنشرِ الدِّين الحنيفِ على أوسع نطاق.
2. الالتزامُ بأحكام الشَّرع لما فيها من الحثِّ على حُبِّ الخَيرِ للغَير والسَّعي إلى إعانةِ المحتاجين الملهوفين واللاجئين، فإنَّ من تعلَّم علمَ الدِّينِ عرَفَ أهميَّةَ بذلِ الخَير والمعروفِ للآخرين فسعى إليه جُهدَه.
3. فتحُ مجالاتٍ لتمكينِ السَّاعي للخَيرِ من بذلِ ما عندَه من إمكانيات لتتوحَّد الجهود، ويحصل ذلكَ عبرَ الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي هدفُها رضا اللهِ وحدَه لا المصالحَ الشخصيَّةَ، فإنَّ أموالَ المتبرّعين أمانةٌ في أعناق آخذيها حتى يبذلوها في مواضعها.
4. تعزيز معنى الأخوة في الدِّينِ لتوحيدِ صفوفِ المسلمينَ وإعلاءِ كلمتِهم وبيانِ أنَّ في الاتِّحادِ قوَّةً وفي التفرقَةِ ضعفًا، وأنَّ الذِّئبَ إنَّما يأكلُ من الغَنَمِ القَاصيَّة، فحقيقةُ الأَمرِ كما قالَ سيدُنا عمرُ بنُ الخطاب: "نحنُ قومٌ أعزَّنا اللهُ بالإسلام، فمهما ابتغَينا العِزَّةَ بغَير ما أعزَّنا اللهُ به أذلَّنا اللهُ"[42].

في الأخير، أحمد الله -تعالى- على إكمال هذه الورقة العلمية.

[42]- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1411ه)، 1: 130.

Bibliography

1. *Al-Qur'ān.*
2. *Abdul-Malik Ibn Hisham. Al-Sirah Al-Nabawiyya Li-Ibn Hisham. Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi And Sons Printing Press, 2nd Edition, 1375 AH.*
3. *Abdul-Rahman Ibn Abdullah Al-Suhayli. Al-Rawd Al-Anf Fi Sharh Al-Sīrah Al-Nabawiyya. Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabi, 1st Edition, 1412 AH.*
4. *Abu Abdullah Al-Hakim Muhammad Ibn Abdullah. Al-Mustadrak Ala Al-Sahihayn. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1st Edition, 1411 AH.*
5. *Abu Al-Hasan Ali Ibn Muhammad Al-Mawardi. Adab Al-Dunya Wa Al-Din. Beirut: Dar Maktabat Al-Hayat, 1st Edition, 1986 AD.*
6. *Abu Al-Husayn Muslim Ibn Al-Hajjaj. Sahih Muslim. Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabi, 1st Edition, Without Year.*
7. *Abu Dawood Sulayman Ibn Ash'ath. Sunan Abu Dawood. Beirut: Al-Maktabah Al-'Asriyya, 1st Edition, Without Year.*
8. *Abu Hayyan Muhammad Ibn Yusuf Al-Andalusi. Al-Bahr Al-Mujit Fi Al-Tafsir. Beirut: Dar Al-Fikr, 1st Edition, 1429 AH.*
9. *Ahmad Ibn Abi Bakr Al-Busiri. Ittihaf Al-Khayra Al-Mahra Bi-Zawa'id Al-Masanid Al-'Asharah. Riyadh: Dar Al-Watan For Publishing, 1st Edition, 1420 AH.*
10. *Ahmad Ibn Al-Husayn Al-Bayhaqi. Shu'abu Al-Iman. Riyadh: Maktabat Arshad For Publishing And Distribution, 1st Edition, 1423 AH.*
11. *Ahmad Ibn Ali Al-Maqrizi. Imtā' Al-Asmā' Bi-Mā Li-L-Nabī Min Al-Aḥwāl Wa Al-Amwāl Wa Al-Ḥafadā Wa Al-Matā.' Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1st Edition, 1420 AH).*
12. *Jalal Al-Din Abdul-Rahman Al-Suyuti. Mirqat Al-Su'ud Ila Sunan Abu Dawood. Beirut: Dar Ibn Hazm, 1st Edition, 1433 AH.*
13. *Maghlatay Ibn Qalij Ibn Abdullah. Al-Ishara Ila Seerat Al-Mustafa Wa Tarikh Man Ba'dahu Min Al-Khulafa. Beirut: Dar Al-Qalam, 1st Edition, 1416 AH.*
14. *Muhammad Ibn Abi Bakr Ibn Abdul-Qadir Al-Razi. Mukhtar Al-Sihah. Beirut: Al-Maktabah Al-'Asriyya, 5th Edition, 1420 AH.*
15. *Muhammad Ibn Ibrahim Ibn Al-Munzir. Kitab Tafsir Al-Quran. Medina: Dar Al-Ma'athir, 1st Edition, 1423 AH.*
16. *Muhammad Ibn Isa Ibn Surah Al-Tirmidhi. Sunan Al-Tirmidhi. Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Printing Press, 2nd Edition, 1395 AH.*

17. *Muhammad Ibn Ismail Al-Bukhari. Sahih Al-Bukhari. Beirut: Dar Tawq Al-Najat, 1st Edition, 1422 AH.*
18. *Muhammad Ibn Jarir Al-Tabari. Tafsir Al-Tabari. Giza: Dar Hijr For Printing, Publishing, And Distribution, 1st Edition, 1422 AH.*
19. *Muhammad Ibn Makram Ibn Manzur Al-Afriki. Lisan Al-Arab. Beirut: Dar Sader, 3rd Edition, 1414 AH.*
20. *Muhammad Ibn Muhammad. Known As Ibn Sayyid Al-Nas, Uyun Al-Athar Fi Funun Al-Maghazi Wa Al-Shamail Wa Al-Siyar. Beirut: Dar Al-Qalam, 1st Edition, 1414 AH.*
21. *Umar Ibn Shabba. Tārikh Al-Madina Li-Ibn Shabba. Jeddah, 1st Edition, 1399 AH.*
22. *Yahya Ibn Al-Husayn Al-Jurjani. Tartib Al-Amāli Al-Khamīsiyya Li-L-Shajari. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1st Edition, 1422 AH.*